روضة الخلاّن في علوم القرآن

الدكتور رشيد كُهُوس

أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان /المغرب

Rawdat Alkhula in the sciences of The Quran

Phd. Rasheed Kuhoos
Prof. at the Faculty of theology in Tetouan / Maghreb

The research dealt with the names of the Quran and it`s characteristics, taking into consideration the sayings of the scholars. It also referred to the wisdom of the descent of the Qur'an and the reasons for the descent, while referring to the number of times the Quran was collected in the life of the companions.

Rawdatt Al Khilan(Jardin des frères) dans les sciences du Coran

Dr. Rashid Kahouass
Professeur à la Faculté de théologie de Tétouan / Maroc..

La recherche traite les noms et les attributs du Coran, en prenant en compte les vues des savants, qui a également porté sur le but et les motifs de sa révélation successive, où elle a abordé ainsi les fois de la collection du Coran dans la vie des Compagnons.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

إن القرآن الكريم مصدر كل علم، ومنبع كل فكر، وأساس التربية ودعامة الأمة، لا مخرج لهذه الأمة من أزماتها ومصائبها إلا بالاعتصام به والعض على أحكامه بالنواجذ. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩).

إنه القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا حدود لأسراره، هو مفتاح الفلاح ومهيع النجاح، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، والنور المبين، والسراج الوضاء، من تلاه كثرت حسناته، ومن تمسك به فاضت عليه أنواره، ومن استضاء به خلص من ظلمات جهله، وخرج من غمار ريبه، ومن رمدت عيون نظره التبس في غيه وعتوه حتى تهوي به الريح في مكان سحيق.

فهو معجزة خالدة على تعاقب الأزمان، وربيع قلوب أهل العرفان، وهو محفوظ بفضل الباري جل وعلا ما اختلف المَلَوان، لا يدرك كنهه إلا أهل البصائر والإحسان. ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧) كما جاء في القرآن.

هي الشمس إلا أن للشمس غيبة وهذا الذي نعينه ليس يغيب

هو بيان وحجة وضياء ومحجة لمن انتشله الله من أوحال الفتن ما ظهر منها وما بطن. فهو للأولياء شفاء، وعلى الأعداء عمًى وبلاء.

إنه المعجزة الخالدة يطول الكلام في خصائصه الجليلة، وربما الاقتصار على وجه اليد على كونه روحا لقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾(الشورى)، وكونه متصفا بصفات من صفات الخالق جل وعلا، كاف لرفع

التحدي الإعجازي للقرآن الكريم بين الإنس والجن، هذا فضلا عما تبقى من مواصفات جليلة كل واحدة منها تعد تحديا في حد ذاتها.

إنه النور الذي نزل به النور (جبريل عليه السلام) من النور (الله ﷻ) على النور (سيدنا محمد ﷺ)، فإذا أحببت هذا النور ﷺ سرى نور القرآن في قلبك، وسهل عليك حفظه وفهم معانيه؛ لأنك أحببت القلب الذي أنزل عليه القرآن، ويسر بلسانه، وتخلق بأخلاقه «كان خلقه القرآن»[1] كما روت السيدة العفيفة الطاهرة عائشة الصديقية – رضي الله عنها–.

وهنا نقف وقفة سريعة عند علوم القرآن حتى ندرك مكانة هذه الرسالة الخالدة، فنزداد حبا لها وتعلقا بها، وحفظا وتدبرا وتطبيقا وتخلقا..

المبحث الأول

في تعريف القرآن الكريم

١– **القرآن لغة:** قرأ تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل[2].

وقرأ القرآن: تلاه، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٨) أي قراءته، فهو مصدر على وزن فعلان، كالغفران والشكران.

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

---

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٣: ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م، كتاب حسن الخلق، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، ح٣٠٨، ص١١٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١: ١٤١٢هـ، ص٦٦٨.

وذكر بعض أهل العلم[١] أن تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله، لكونه جامعا لثمرة كتبه ومهيمنا عليها، بل لجمعه علوم الأولين والآخرين كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩). وقوله عز من قائل: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأنعام: من الآية ٣٨).

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي –رحمه الله–: "القرآن اسم وليس مهموزا ولم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآنا، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل"[٢].

وذهب الأشعري إلى أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، إذا ضممته إليه، وسمي القرآن بذلك؛ لأن السور والآيات مجموعة فيه.. وقيل: مشتق من القرْي: وهو الجمع، ومن قريْت الماء في الحوض إذا جمعته[٣].

٢- **القرآن اصطلاحا:** «هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ لفظه ومعناه بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس».

وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين؛ حيث اشتمل على أهم خصائص القرآن الكريم والذكر الحكيم، وهي أنه كلام الله عز اسمه، المعجز المتحدى به البلغاء من العرب وغيرهم أن يأتوا بمثله، أو ببعض سوره وآياته، فلم يستطيعوا ذلك وسلموا له بالإعجاز، مع استمرار التحدي.

وأنه منزل على سيدنا رسول الله محمد ﷺ ليخرج الكلام الذي نزل على من قبله من الأنبياء والمرسلين كالصحف المنزلة على خليل الله إبراهيم عليه السلام، والزبور

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٦٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١: ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ٢٧٨/١.

(٣) مقدمة في الدراسات القرآنية، محمد فاروق النبهان، ص٢٤.

المنزل على نبي الله داود ﷺ، والتوراة المنزل على كليم الله موسى ﷺ، والانجيل المنزل على المسيح عيسى ابن مريم –عليهما السلام–. وكذلك ليخرج أيضا الكلام الإلهي الذي استأثر الله به نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعلموا به لا ينزلوه على أحد من البشر؛ إذ ليس كل كلامه تعالى منزلا، بل الذي أنزل منه قليل من كثير. وأما قيد (المتعبد بتلاوته) أي المتقرب إلى الله تعالى بقراءته، المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، فأخرج ما لم نؤمر بتلاوته، كالأحاديث القدسية المسندة إلى الله تعالى، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة غير القدسية وهي خارج بهذا القيد.

فالله سبحانه وتعالى أنزل هذا القرآن ليكون دستور الأمة، وهداية الخلق، وليكون دليل على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ، وبرهانا ساطعا على نبوته ورسالته، وحجة قائمة إلى يوم الدين، تشهد بأنه تنزيل الحكيم الحميد، بل هو المعجزة الخالدة التي تتحدى الأجيال والأمم على مر الأزمان والعصور.

وقد أحسن أمير الشعراء أحمد شوقي لما قال:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بكتاب غير منصرم

آياته كلما طال المدى جُدُدٌ يزينهن جمال العِتق والقِدَم

ولله در القائل:

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا

المبحث الثاني

أسماء القرآن الكريم وصفاته وتنزلاته وأقسامه

المطلب الأول: أسماء القرآن الكريم وصفاته.

إن للقرآن الكريم أسماء متعددة، ما يدل على علو شانه ورفعة منزلته، بل هو أشرف كتاب على الإطلاق وبدون منازع.

وقد ذكر العلماء أسماء كثيرة للقرآن الكريم منهم من أوصلها إلى وتسعين اسماً نيّف، ومنهم من أوصلها إلى خمسة وخمسين اسما –كالإمام الزركشي[١] والإمام السيوطي[٢]–، ومنهم من أوصلها إلى مائة اسم كالإمام الفيروزآبادي[٣].

ويمكن تقسيم تلك الأسماء إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: الأسماء التي تشير إلى ذات الكتاب وحقيقته. وهي:

- القرآن: قال الله الحق عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(الإسراء).
- الفرقان: قال سبحانه وتعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(الفرقان).
- التنزيل: قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الشعراء).

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٢٧٣/١.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ه– ١٩٧٤م، ١٤٣/١.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية–لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط: ١٤١٦هـ–١٩٩٦م، ٨٨/١.

- كلام الله: قال العليم الحكيم: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة).
- أمر الله: قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾ (الطلاق: ٥).
- الروح: قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾(الشورى: ٥٢).
- الوحي: قال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ﴾ (الأنبياء: ٤٥).

المجموعة الثانية: الأسماء التي تشير إلى صفات القرآن الذاتية. وهي:

- الحقّ: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ (آل عمران: ٦٢).
- العزيز: قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ (فُصّلت:٤١).
- الحكيم والعليم: قال الباري جل وعلا: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الزخرف : ٤).
- الكريم: قال جل ثناؤه: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (الواقعة : ٧٧).
- المبارك: قال تقدست كلماته: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ (ص: ٢٩).
- الصدق: قال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ (الزمر: ٣٣).
- المجيد: قال سبحانه تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ (البروج : ٢١).
- العَجَبُ: قال الله تعالى: ﴿قُرْآناً عَجَباً﴾ (الجن : ٢٩).
- العلم: قال الحق تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾(الرعد : ٣٧).

المجموعة الثالثة: وهي التي تشير إلى صفات القرآن التأثيرية، والمتجسدة في علاقة القرآن بالناس. وهي:

- موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين: قال الخالق تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(يونس ٥٧).

وقال جل وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢). وقال عز وجل:

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (لقمان١- ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ ﴾(الإسراء : ٨٢).

- البيان: قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٣٨).
- النور: قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ (النساء :١٧٤).
- الذكر: قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ (الأنبياء: ٥).
- البلاغ: قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ (الأنبياء :١٠٥).
- المبين: قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ (يوسف : ١).
- البشير والنذير: قال تعالى: ﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ ﴾ (فُصِّلَتۡ: ٤).
- البصائر: قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ ﴾(الجاثية : ٢٠).
- التذكرة: قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾(المدّثر: ٥٤).
- البشرى: قال جل ثناؤه: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(النمل ١-٢).

وقد غلب من أسمائه عليه "القرآن" لكونه متلوا على الألسن ووردت به كثير من الأحاديث النبوية، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه.

المطلب الثاني: تنزلات القرآن الكريم.

لقد جعل الله تعالى تنزل القرآن الكريم عبر ثلاثة تنزلات:

أولها: تنزل القرآن الكريم إلى اللوح المحفوظ: قال تعالى: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾(البروج٢١- ٢٢). أما عن كيفية ذلك فعلمه عند ربي.

وثانيها: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا. وقد جاءت الأخبار الصحيحة مبينة للنزول في بيت العزة من الدنيا، وكلها موقوفة على ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–، غير أن لها حكم المرفوع إلى

رسول الله ﷺ طالما أنها فيما ليس للعقل إليه من سبيل، فتعين سماعه وتحمله من النبي ﷺ، وينزه الصحابة رضوان الله عليهم أن يقولوا رجما بالغيب.

وآخرها: حيث قام أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام بتنزيله على قلب سيدنا محمد ﷺ في غضون ثلاثة وعشرين عاما منجما حسب الأحداث والمناسبات أو ابتداء حتى..

قال الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(الشعراء ١٩٣- ١٩٥).

وأول ما نزل من كتاب رب العالمين على قلب خير المرسلين ﷺ قوله جل ذكره: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(العلق ١- ٥). وهذا ما شهدت به كتب الحديث وكتب السير وتاريخ التشريع.

أما آخر ما نزل من القرآن الكريم فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾(المائدة: ٣). وهي أشهر الأقوال. وقيل أن آخر ما نزل من القرآن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(البقرة ٢٨١). وقيل قوله جل جلاله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب ... وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(البقرة ٢٨٢).

وقيل قوله جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(البقرة ٢٧٨).

وقد يجمع بين الأقوال السابقة من أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في لمصحف؛ لأنها في قصة واحدة. ويبقى الرأي الأول راجحا؛ لأنه من المتبادر إلى الذهن، والظاهر أن إكمال الدين لا يكون إلا بإكمال نزول القرآن وإتمام جميع الفرائض والأحكام.

المطلب الثالث: أقسام القرآن الكريم.

قُسّم القرآن الكريم إلى أربعة أقسام، وجعل لكل قسم منه اسم، لما روي أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»(١).

والسبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس.

والمئون: ما وليها، سميت بذلك لأن كل سورة تزيد على مائة آية أو تقاربها.

والمثاني: ما ولي المئين؛ لأنها ثَنَّتْها، أي كانت بعدها، فهي ثوان بالنسبة للمئين، والمئون أوائل بالنسبة إليها. وقد تطلق المثاني على القرآن كله، وعلى الفاتحة، فيقال: السبع المثاني.

المُفَصَّل: ما ولي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول بين السور بالبسملة.

واختلف في أول المفصل؛ فالمشهور أن أوله سورة (ق)، ولا خلاف في أن آخره سورة الناس.

قال بعض السلف: في القرآن ميادين، وبساتين، ومقاصير، وعرائس، وديابيج، ورياض. فميادينه ما افتتح ب (الم)، وبساتينه ما افتتح بـــ(الر)، ومقاصيره الحامدات، وعرائسه المسبحات، وديابيجه آل عمران، ورياضه المفصل، وقالوا الطواسيم والطواسين وآل حم والحواميم"(٢).

المطلب الرابع: المكي والمدني.

يبلغ مجموع سور القرآن الكريم ١١٤ سورة، والآيات ٦٢٣٦، لكن قد ينقص من بعض الآيات حسب تحديد مكان الوقف بين الآيات.

هذا وقد تم تقسيم القرآن الكريم إلى مكي ومدني، فالمكي على أرجح الأقوال ما نزل بمكة المكرمة أو ضواحيها قبل الهجرة، وعُني بالتوحيد أساسا وتصحيح

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ١٨٨/٢٨.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ٢٠١/١.

العقيدة، والتربية... أما المدني فهو ما نزل بالمدينة وضواحيها، لكن بعد الهجرة، ولقد عني بالتشريع أساسا.

ولقد تتبع علماء القرآن أقسام القرآن فأسهبوا في تفصيلها، منها: الأرضي، أي ما نزل بالأرض، والسمائي أي ما نزل بالسماء، وما نزل بين السماء والأرض، والحضري والسفري والليلي والنهاري...

أضف إلى ذلك أن علماء الأمة بينوا خصائص كل من القرآن المكي والمدني: فالأول يحتوي على الأسس العامة التي تقوم عليها دعوة الإسلام: التدليل على وجود الخالق ووحدانيته، وإبطال الشرك والوثنية، وإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته إلى الناس جميعا، وإثبات وجود القيامة والدار الآخرة، والموت والبرزخ والنشور والحساب والجنة والنار... كما يتضمن القرآن المكي أيضا أصول التشريع الأولي للإسلام: كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بدون تفصيل.

أما القرآن المدني؛ فمن بين ما فيه تفصيل التشريعات، والتوسع في قواعد إقامة دولة الإسلام وتعاملها مع الآخر، ومجادلة أهل الكتاب لإقناعهم بصدق رسالة رسول الله محمد ﷺ، وتفصيل البراهين على الحقائق الدينية، والتعايش والحوار بين الأمم، والدعوة إلى السلم العالمي، وحسن الخلق ونبل المثل والقيم الاجتماعية والإنسانية...

المبحث الثالث

الحكمة من نزول القرآن الكريم منجما

لم ينزل القرآن دفعة واحدة على قلب سيدنا رسول الله ﷺ، بل نزل منجما ومفرقا؛ إما جوابا على أحداث وقعت، وما أكثر هذه النماذج التي أفردت فيها كتب، كأسباب النزول للواحدي، ولباب النقول للسيوطي... وإما جوابا عن أسئلة، وهذه واضحة في آي القرآن كما في الآيات الآتية:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة ٢١٩).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٢٠).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة ٢٢٢).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء٨٥).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾(الكهف ٨٣).

وإما تتنزل الآيات ابتداء دون توقف على سؤال أو حدث أو سبب نزول...

وهكذا نزل القرآن الكريم منجما في ثلاثة وعشرين عاما، منها ثلاث عشرة سنة بمكة المكرمة، وعشر سنين بالمدينة المنورة. وجاء التصريح بنزوله مفرقا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان ٣٢).

لو كان نزوله جملة واحدة لما دعا الكفار إلى التعجب من نزول القرآن منجما.

ونجمل هنا أهم حكم نزوله منجما:

١- **تثبيت فؤاد النبي ﷺ والتلطف به:** إن من أسرار هذا التنجيم ومقاصده تثبيت فؤاد النبي ﷺ، ولأن تجدد الوحي وتكرار نزول الملك جبريل عليه السلام به تسلية للنبي ﷺ وتأييد إلهي له، وتلطف به، وعون له على مشاق طريق الدعوة إلى الله تعالى، وتقوية لقلبه الشريف العظيم، وتطبيب لنفسه الكريمة.

٢- **التدرج في التشريع والتربية:** لكون التدرج سنة إلهية في الحياة، ولذلك نزل القرآن بتدرج ليربي الأمة عبر مراحل، لبنة لبنة، حتى يشتد عودها، ويقوى ساعدها؛ لأن النفس البشرية لا تتحول تحولا كاملا شاملا بين يوم وليلة، وإنما تتحول رويدا رويدا وتعتاد على تحمل تكاليفه فلا تجفل.

٣- **تسهيل حفظ القرآن وفهمه على المسلمين:** وفي التنجيم تيسير حفظ القرآن وفهمه، وفيه التحدي والإعجاز، وفي كل مرة هو على موعد بمعجزة جديدة، وتفريقها أبلغ في الحجة من أن تنزل جملة واحدة.. وإلى هذا أشارت أم المؤمنين عائشة الصديقية: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»(١).

٤- **مسايرة الحوادث والوقائع، والتنبيه عليها في حينها:** كان القرآن الكريم ينزل حسب الحاجة، خمس آيات، وعشر آيات، أو أكثر أو أقل، وقد صح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول عشر آيات في أول المؤمنين، وصح نزول: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾(النساء: من الآية ٩٥) وحدها وهي بعض آية.

هذا فضلا عن أن القرآن الكريم نزل منجما لينبه على الأخطاء في وقتها، فإن ذلك أوقع في النفس، وأدعى إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق الدرس العملي، فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وكلما حصل منهم خطأ نزل القرآن

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ح٤٧٠٧.

بتعريفهم وتنبيههم على ما ينبغي اجتنابه، ومن ذلك ما وقع من المسلمين في غزوة أحد، فقد نزل القرآن الكريم لينبهم على الأخطاء التي صدرت منهم، وعلى سنن النصر التي تنكبوا عنها، كما نزل يوم حنين لينبههم على أن الإعجاب بالكثرة من سنن الهزيمة وليست من سنن النصر.. إلى غير ذلك من المواطن التي نبه عليها القرآن في حينها...

المبحث الرابع
جمع القرآن وترتيبه

المطلب الأول: الجمع الأول للقرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ حفظا وكتابة.

لقد كان سيد الحفاظ وأولهم سيدنا رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن منجما ليقرأه على الناس على مكث، والذي تكفل الله سبحانه له بحفظه وجمعه في صدره.

واتخذ سيدنا رسول الله ﷺ كُتَّابا للوحي من أجلة الصحابة ﷺ كعلي ومعاوية وأبي بن كعب وزيد بن ثابت. تنزل آية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تُظاهر الكتابة في السطور، الجمع في الصدور.

كما كان بعض الصحابة ﷺ يكتبون ما ينزل من القرآن الكريم ابتداء من أنفسهم دون أن يأمرهم النبي ﷺ، فيخطونه في العسب[١] واللخاف[٢] والكرانيف[٣] والرقاع[٤] والأقتاب[٥] وقطع الأديم والأكتاف[٦].

---

(١) العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.

(٢) اللخاف: جمع لخفة، وهي صفائح الحجارة.

(٣) الكرانيف: جمع كرنافة، وهي أصول السعف الغلاظ.

(٤) الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق.

(٥) الأقتاب: جمع قتب، هو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليُركب عليه.

(٦) الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا عليه.

وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة ﷺ في كتابة القرآن الكريم، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ.

وكان جبريل عليه السلام يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن كل سنة في ليالي رمضان: عن مولاتنا فاطمة –رضي الله عنها– بنت رسول الله ﷺ قالت أسر إلي ﷺ: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه»(٢).

وكان الصحابة ﷺ يعرضون على رسول الله ﷺ ما لديهم من القرآن حفظا وكتابة كذلك. وكان النبي ﷺ يحضهم على العناية بالتنزيل، ويبعث إلى من كان منهم بعيدا من يقرئهم ويعلمهم، كما بعث ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم – رضي الله عنهما– إلى أهل المدينة قبل هجرته، يعلمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا. فعن أبي موسى ﷺ، قال النبي ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقةِ الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم، إذا لقي الخيل، أو قال: العدو، قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم»(٣). وكانت

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، ح٣٤٢٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، ح٤٧١٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح٣٩٩١. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل الأشعريين ﷺ، ح٢٤٩٩.

النتيجة أن عدد الصحابة الحفاظ كان كبيرا جدا، يكفي أن نعلم أنه قتل منهم يوم بئر معونة ويوم اليمامة أربعون ومائة.

ولم تكن هذه الكتابة في عهد رسول الله ﷺ مجتمعة في مصحف واحد، بل يوجد عند هذا بعض السور، وعند الآخر سور أخرى، إلا عليا بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود ﷺ فقد جمعوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ كما نقل بعض أهل العلم.

وقُبض سيدنا رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة في صحيفة على حدة، ولم يجمع في مصحف واحد في عهد النبوة؛ لأن النبي ﷺ كان يترقب الوحي من حين إلى آخر، ولئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت.

وزيادة في التوثيق والاهتمام والدقة نهاهم رسول الله ﷺ أن يكتبوا شيئا غير القرآن، فقال ﷺ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ»(١).

المطلب الثاني: الجمع الثاني للقرآن الكريم في عهد خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ.

أجمع المسلمون على اختيار أبي بكر الصديق ﷺ خليفة لرسول الله ﷺ، فقام بأمر الإسلام، وواجهته أحداث جسام، وارتد عن دين الله جمهرة من العرب، فجهز ﷺ الجيوش لقتالهم، وكانت معركة اليمامة في سنة ١٢ للهجرة تضم عددا كبيرا من الصحابة القراء ﷺ، فاستشهد في هذه المعركة سبعون قارئا من الصحب الكرام ﷺ، فهال ذلك الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، ودخل على أبي بكر ﷺ وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية ضياعه بوفاة حفاظه، ولم يطمئن الصدِّيق الأكبر ﷺ لهذا الرأي خشية أن يفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ، لكن إلحاح عمر على زيد ﷺ جعله يطمئن ويرى رأي عمر، ثم اطمأن الصديق لرأيهما، وأمر زيدا بجمع القرآن في مصحف واحد مرتب الآيات والسور، وأن تكون كتابته غاية من التثبيت مشتملة على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، بَابُ التَّثَبُّتِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ، ح٣٠٠٤.

فبدأ زيد بجمعه من الرقاع والعسب ومن صدور الرجال حتى جمع المصحف كله بالأحرف السبعة، فكان المصحف عند أبي بكر الصديق ﷺ حتى توفاه الله، ثم عند عمر ﷺ حتى استشهد، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر –رضي الله عنهما– ثم طلبها عثمان ﷺ من حفصة فكانت عنده، ثم أرجعها إليها وبقيت عندها حتى ماتت رضي الله عنها.

فكان أبو بكر الصديق ﷺ أول من جمع القرآن في مصحف واحد بإتقان وتحرٍّ ودقة وتثبت وترتيب، وهذا هو المسمى بالجمع الثاني للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: الجمع الثالث للقرآن الكريم في عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان ﷺ.

كثر الاختلاف في القراءات القرآنية بعدما اتسعت الفتوحات الإسلامية، وتفرق القراء في الأمصار، مما جعل الشك يتسرب إلى بعض حديثي العهد بالإسلام ممن لم يدرك رسول الله ﷺ، فأمر الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ بجمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد من الأحرف السبعة، ونسخ المصاحف وبعث بها إلى الأمصار، حتى لا تتفرق الأمة وتختلف اختلاف اليهود والنصارى، وتلقت الأمة ذلك بالطاعة، وتركت القراءة بالأحرف الستة الأخرى.

عن أنس بن مالك ﷺ: "أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: «أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك»، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم» ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى

حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"(١).

وبهذا قطع ذو النورين عثمان ﷺ دابر الفتنة، وحسم مادة الخلاف، وحصن القرآن من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة والتحريف على مر الأزمان والعصور.

وعليه؛ فإن الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان –رضي الله عنهما– هو أن جمع أبي بكر يختلف عن جمع عثمان في الباعث والكيفية.

فالباعث لدى أبي بكر ﷺ لجمع القرآن خشية ذهابه بذهاب حملته، حيث استحر القتل بالقراء.

والباعث لدى عثمان ﷺ كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأمصار وخطَّأ بعضهم بعضا.

وجمع الصدِّيق ﷺ كان نقلا لما كان مفرَّقا في الرقاع والأكتاف والعسب... وجمعاً في مصحف واحد مرتب الآيات والسور. مقتصرا على ما لم تُنسخ تلاوته، مشتملا على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

وجمع عثمان ﷺ للقرآن كان نسخا له على حرف قريش من الأحرف السبعة لكونه نزل بلغتهم، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد، وحرف واحد، يقرأون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى.

الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة؛ فقد جمع بعضه بحضرة النبي ﷺ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق ﷺ، والجمع الثالث بحضرة عثمان ﷺ.

واختلف في الحرف الذي كتب عثمان ﷺ عليه المصحف؛ فقيل حرف زيد بن ثابت ﷺ، وقيل حرف أبي بن كعب ﷺ؛ لأنه العرضة الأخيرة التي قرأها رسول الله ﷺ، وعلى الأول أكثر الرواة؛ ومعنى حرف زيد أي قراءته وطريقته.

ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى القراءات العشر والأحرف السبعة:

القراءات: "جمع قراءة وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ. وفي الاصطلاح: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ح٤٧٠٢.

اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.

والمقرئ: (العالم بها رواها مشافهة) قاله ابن الجزري"[١].

ولقد بدأت المشافهة والتلقي عن الصحابة ﷺ الذين تلقوا القرآن من سيدنا رسول الله ﷺ، ثم قرأ كل أهل بلد بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة ﷺ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة بأتم عناية، حتى صار منهم في ذلك أئمة يقتدى بهم وتشد إليهم الرحال ويُتلقى عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءاتهم بالقبول، ولإتقانهم للصنعة وتصديهم للقراءة نسبت إليهم.

وانقسمت رواياتهم الصحيحة الثابتة المتواترة على وجوه من القراءة إلى عشر روايات سميت بالقراءات العشر المتواترة. وهذه القراءات هي على النحو الآتي:

١- قراءة نافع: أبو رويم نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المدني (ت١٦٩هـ)، أخذ القراءة عن أبي جعفر القاري وعن سبعين من التابعين.

راوياه: قالون: وهو عيسى بن مينا المدني. وورش: عثمان بن سعيد المصري.

٢- قراءة ابن كثير: عبد الله بن كثير قارئ مكة تابعي (ت١٢٠هـ).

راوياه: البزي: أحمد بن محمد بن بزة المكي. وقنبل: محمد بن عبدالرحمن المكي.

٣- قراءة أبي عمرو: زبان بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ).

راوياه: الدوري حفص بن عمر. والسوسي صالح بن زبان.

٤-قراءة ابن عامر: عبد الله بن عامر تابعي دمشقي (ت١١٨هـ)٠

راوياه: هشام بن عمار الدمشقي. وابن ذكوان عبد الله بن أحمد القرشي.

٥- قراءة عاصم: أبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي تابعي قارئ الكوفة (ت ١٢٨هـ).

راوياه: شعبة: أبو بكر بن عياش الكوفي. وحفص بن سليمان البزاز الكوفي.

٦- قراءة حمزة: أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات من قراء الكوفة (ت١٥٦هـ).

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣: د.ت، ٤١٢/١.

راوياه: خلف بن هشام البزار. وخلاد بن خالد الصيرفي.

٧- قراءة الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة النحوي من قراء الكوفة (ت ١٨٩هـ).

راوياه: أبو الحارث الليث بن خلد. وحفص الدوري "الراوي عن أبي عمرو".

٨- قراءة أبي جعفر المدني: يزيد بن القعقاع تابعي مدني (ت ١٢٨هـ).

راوياه: ابن وردان عيسى بن وردان المدني. وابن جماز سليمان بن جماز.

٩-قراءة يعقوب: أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت ٢٠٥هـ).

راوياه: رويس محمد بن المتوكل اللؤلؤي. وروح بن عبد المؤمن البصري.

١٠-قراءة خلف بن هشام: أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي (ت ٢٢٩هـ).

راوياه: إسحاق بن إبراهيم الوراق. وإدريس بن عبد الكريم الحداد(١).

ولقد نشأ علم القراءات وتبوأ مكانا بارزا عند المتقدمين وعرفوا له أهميته فصنفوا فيه المصنفات، ونظموا فيه المنظومات؛ منها "الشاطبية" للإمام الشاطبي، و"طيبة النشر في القراءات العشر" للإمام ابن الجزري، وغيرهما. وما تزال العناية بهذا العلم قائمة في البلاد المسلمة حتى اليوم، وأنشئت من اجله الجامعات الخاصة بالقرآن والكليات والمعاهد والأقسام...

شروط القراءة المتواترة:

لقد وضع العلماء ثلاثة ضوابط للقراءة المتواترة:

أولها: موافقة القراءة لرسم أحد المصاحف العثمانية.

وثانيها: موافقتها العربية ولو بوجه.

وآخرها: صحة إسنادها(٢).

أما الأحرف السبعة: فقد تواترت نصوص الحديث النبوي الشريف بنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف؛ فعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، أن رسول الله ﷺ

(١) ينظر: مناهل العرفان، ج١ ص٤٥٦ وما بعدها.

(٢) مناهل العرفان، ٨ ٤١٨/١.

قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»(١).

وقد ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن جميع هذه الأحرف موجودة بالمصاحف العثمانية.

واحتجوا بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها وأن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك. ومعنى هذا أن الصحف التي كانت عند أبي بكر جمعت الأحرف السبعة ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام متضمنة لها(٢).

ولا نزاع بين أهل العلم أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن الكريم عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده؛ بل قد يكون معناها متفقا أو متقاربا كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ»(٣).

وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر؛ لكن كلا المعنيين حق وهذا اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزول القرآن على سبعة أحرف، ح٤٧٠٥.

(٢) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، ١٧٦/١. مناهل العرفان، ١٦٨/١.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ٤٢/١٩. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١: ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ٥٣٤/٣.

المبحث الخامس

مراتب الوحي

إن من أكبر نعم الله تعالى على خليقته ومن أَجَلّ ما امتن به خالقهم عليهم إنزاله الكتب، وبعثه الرسل، كما قال تباك وتعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة١٥١).

وعليه، فحاجة البشر إلى الوحي الإلهي هي فوق كل حاجة، والرسالة روح العالم ونوره وحياته؛ فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة لا ترتفع هذه الظلمة واللعنة إلا بشروق شمس الرسالة القرآنية والوحي الإلهي، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينالله من حياتها وروحها فهو في ظلام دامس.

فما معنى الوحي؟ وما هي مراتبه؟

تعريف الوحي:

الوَحْيُ لغة: الإِشارة وَالْكِتَابَةُ والرِّسالة والإِلْهام وَالْكَلَامُ الخَفِيُّ وكلُّ مَا أَلقيته إِلى غَيْرِكَ[١].

الوحي اصطلاحا: الإعلام بالشرع[٢]. أو بتعريف مفصل هو: إعلام الله لأنبيائه ما يريد إبلاغه إليهم من الشرائع، والأخبار بطريق خفي بحيث يحصل عندهم علم ضروري قطعي، بأن ذلك من عند الله جل شأنه. فهو أخص من المعنى اللغوي

(١) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر – بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ، مادة: وحي، ٣٧٩/١٥.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة–بيروت، ط: ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ٩/١.

باعتبار مصدره، وهو الله سبحانه وموارده وهم أنبياؤه الكرام(١).

وهو كذلك العلم الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وبما أننا بصدد الحديث عن رسالة سيدنا محمد ﷺ، فمن الأهمية بمكان أن أشير باختصار إلى مراتب الوحي، وهي كالآتي:

أ)- **أن يكون الوحي بإعلام الله تعالى لنبيه بواسطة جبريل** عليه السلام على هيئته التي خلقه الله عليها، ورآه النبي ﷺ على هذه الهيئة.

ب)- **أن يتمثل له جبريل** عليه السلام **في هيئة رجل** كما وقع في حديث مراتب الدين (الإسلام والإيمان والإحسان)، وفي صورة أحد الصحابة مثل صورة (دحية الكلبي رضي الله عنه) وكان وسيما يراه الحاضرون ويسمعون له دويّا، كما وقع في غزوة بني قريظة.

ت)- **ظهور جبريل** عليه السلام **في صورته الملكية** ويصحبه صوت كصلصة الجرس، وكان هذا أشد الأنواع على رسول الله ﷺ وحتى إن راحلته كانت تبرك به على الأرض لثقل الوحي عليه.

ث)- **تكليم الله تعالى نبيه بما يريد بلا وساطة ملك:** مثل تكليم الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾(النساء ١٦٤). وتكليم الله تعالى نبيه محمدا ﷺ ليلة المعراج: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾(النجم ٧- ١١).

ج)- **أن يأتي الله نبيه في المنام:** كما في الحديث الطويل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ،، قَالَ أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ...»(٢).

---

(١) انظر: الحديث والمحدثون، محمد محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٧٨هـ، ص١٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة (ص)، ح٣٢٣٣. قال الألباني: حديث صحيح.

ح)- **الإلهام:** وذلك بأن يلقي جبريل في قلب النبي ﷺ ما يريد من الوحي بصورة واضحة لا تحتمل الريب: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَا النَّاسَ، فَقَالَ: «هَلُمُّوا إِلَيَّ»، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ فَجَلَسُوا فَقَالَ: «هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»(١).

خ)-**الرؤيا الصالحة في المنام:** كما وقع للنبي ﷺ والأنبياء من قبله -عليهم السلام-؛ فعن عُبيد بن عُمير ﷺ قال: «إن رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾(الصافات: ١٠٢)»(٢).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ قالت: « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ (العلق:١- ٣). " فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك

(١) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، (طبعة مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة)، ٣١٤/٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وضوء الصبيان، ومتى يجب عليهم الغسل والطهور، وحضورهم الجماعة والعيدين والجنائز، وصفوفهم، ح٨٢١.

لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق...» [١].

د)- **إلقاء المعنى في القلب:** ومن صور الوحي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلب سيدنا رسول الله ﷺ وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام؛ لأنه ﷺ إذا اجتهد أصاب قطعا في اجتهاده باتفاق علماء الأمة، لكونه ﷺ معصوما من الخطأ[٢].

وفي الختام:

فهذه نبذة موجزة عن علوم القرآن الكريم: شملت معانيه وأسماءه وصفاته وتنزلاته، وأقسامه، وترتيبه، ومكيه ومدنيه، ومراحل تدوينه، والحكمة من نزوله منجما، ومراتب الوحي.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح٣.

(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ٢٦٥/٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار القلم-دمشق، ط٨: ١٤٢٧هـ، ج١، ص٢٦٩ وما بعدها.